تأثير النصوص الشعرية على سيكولوجية الأفراد والجماعات

أ/ أحمد الطيب أحمد محمد

للنصوص الأدبية – شعرية كانت أم نثرية – تأثيرٌ واضحٌ وبليغٌ على نفسية الأفراد والجماعات، وربّ كلمة أو عبارة أطلقها أديبٌ أو شاعرٌ في موقف من المواقف أصبحت محفورة في الأذهان لسنوات وقرون؛ ذلك لأنّ تركيبة الإنسان وسلوكه تفعل فيه الكلمات مفعول السحر، فإذا مدحاً شعر بسعادة غامرة مهما كان وضعه في المجتمع أو سنه؛ فالكبار والصغار يتأثرون على السواء بكلمات الثناء والحمد والعبارات اللطيفة المحببة إليهم، وبالمقابل فإنّ الكلمات الجارحة أو النصوص الأدبية التي فيها انتقاص من أقدراهم أو إساءة لهم تترك شرخاً عميقاً في أنفسهم لا يندمل مع مرور الزمن وتقلبات الأيام، وفي ذلك يقول الشاعر:

جراحات السّنانِ لها التآمُ × ولا يلتأمُ ما جرح اللسَانُ

ولنأخذ نماذج من الأدب العربي تُبيّن لنا تأثير النصوص الأدبية علَى سيكولوجية الأفراد والجماعات ، وأول هذه النماذج أعظم فرد في الإنسانية؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أكثر الناس تأثراً بالنصوص الأدبية (شعرية كانت أم نثرية)، وكيف لا يتأثر بها صلى الله عليه وسلم وهو من أعطي جوامع الكلم، وخُبرَ لغة العرب بل تحدّى بها أهل الفصَاحة في ذلك الزمان – قريش – بكتاب الله المعجز، فكانت نفسه صلى الله عليه وسَلم شفافة تستشعر مواطن الجمال في لغة العرب وآدابها.

ومن تأثره صلى الله عليه وسلم بالنصوص الأدبية أنه سمع قصيدة قتيلة بنت النضر بن الحارث، التي أسر أبوها وقُتل في بدر، والتي تقول فيها ظلت سيوف بنيَ أبيه تنوشه × لله أرحامٌ هناك تشقق

فتأثر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال لو سمعتُ شعرها قبل هذا ما قتلته، ومنه أيضاً عندما هجا أحد المشركين – قاتله الله – النبي صلى الله عليه وسلم انبرى له حسان بن ثابت رضي الله عنه قائلاً:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه × وعند الله في ذاك الجزاء

فقال النبي صلى الله عليه وسلم معجباً بما قاله حسان: (جزاك الله الجنة).

وعندما قال حسان رضي الله عنه:

فإنّ أبي ووالده وعرضي × لعرضِ محمد منكم وقاء

قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (وقاك الله حر النار)

وتأثر النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة النابغة الجعدي تأثراً واضحاً حين قال الجعدي:

علونا السماء مجدنا وجدودنا × وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إلى أين المظهر يا أبا ليلى) فقال النابغة: (إلى الجنة بك يا رسول الله) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أجل إن شاء الله) ثم أكمل الجعدي قائلا:

ولا خير في حلم ا ذا لم تكن له × بوادر تحمي صفوه أنْ يكدرا

ولا خير في جهل إذ لم يكن له × حليمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصدرا

فحركت هذه الأبيات نفْس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له: (أجدتَ لا فضّ فوك)، ولم يقف تذوقه صلى الله عليه وسلم لنصوص الأدب عند المسلمين فقط، وإنما استمع إلى غير المسلمين ووقف عند نصوصهم وقفة المتأمل وأعجبه الجّيد منها وأصدر فيها أحكاماً دقيقة تدل على تأثره بها، فقد استمع إلى قصيدة أمية بن أبي الصلت، التي يقول فيها:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا × بالخير صبحنا ربي ومسانا

ربُّ الحنيفية لم تنفد خزائنه × مملوة طبق الأرض سلطانا

وقد علمنا لو أنّ العلم ينفعنا × أن سوف تلحق أخرانا بأولانا

فقال صلى الله عليه وسلم: (هذا رجلٌ آمن شعره، وكفر قلبه).

ومن الأفراد الذين هزت وجدانهم نصوص الأدب؛ تلميذ مدرسة النبوة، الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعلى الرغم من غلظته في الجاهلية إلا أنه يحمل مقاييس متناهية الدقة توضح امتلاكه لناصية البيان؛ فقد كان يتعجب من حسن تقسيم بيت الشعر الذي يقول:

والمرءُ ساع لأمر ليس يدكه × والعيشُ شحٌ وإشفاق وتأميل

وعندما مدحه أحدهم بقوله:

عميرة ودّع إن تجهزت غازياً × كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

تأثر τ بهذا البيت، وقال لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك.

ومن ذلك أيضاً أنّ الحطيئة عندما هجا الزبرقان بن بدر بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها × واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فاشتكاه إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فأمر بحبسه، ولكن الحطيئة أرسل إلى أمير المؤمنين أبياتاً من الشعر من محبسه، يقول فيها:

ما ذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ × زغب الحواصلِ لا ماء ولا شجرُ

ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ × فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

أنتَ الإمام الذي من بعد صاحبه × ألقت إليك مقاليد النهى البشرُ

لم يأثروك بها إذ قدموك لها × ولكن لأنفسهم كانت الإثرُ

فأمنن على صبية بالربع مسكنهم × بيت الأباطح تغشاهم بها الغررُ

فرقّ عمر رضي الله عنه لهذه الأبيات واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم.

فهذا الوليد بن عبد الملك يحج في عام من الأعوام بيت الله الحرام، ويتزامنُ ذلك مع حج زين العابدين بن علي رضي الله عنهما، فأخذ الناس في الطواف يفسحون لزين العابدين ولا يفسحون للوليد بن عبد الملك ويومها كان أمير المؤمنين، فأراد أن يقلل من شأن زين العابدين بن علي؛ بقوله: (مَنْ هذا؟) فانبرى له الفرزدق قائلاً:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته × والبيت يعرفه والحل والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلهم × هذا التقي النقي الطاهر العلمُ

هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهله × وبجده أنبياء الله قد ختموا

وما قولك من هذا بضائره × فالعرب تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ

فهذه الأبيات بلا شك قد أثرت في نفس الوليد وأصابته بالإحباط والدونية، على الرغم من أنه أمير المؤمنين، وربما ندم على تطاوله على حفيد رسول صلى الله عليه وسلم.

ومن تأثير النصوص السيئ على سيكولوجية الأفراد؛ ندم عمرو بن كلثوم، على هجائه لقبيلته، الذي ظل ملازماً لها وسارت به الركبان، ولم يستطع قائل أبيات الهجاء نفسهُ أن يمحوا تأثير ذلك على قبيلته؛ فقال في مرارة وأسف:

ندمتُ على شَتم العشيرة بعدما مضى × واستتبت للرواة مذاهبه

فأصبحتُ لا أستطيع دفعاً للماضي × كما لا يرد الدرُّ للضرع حالبه

أما من تأثير النصوص الأدبية الإيجابي على نفوس الأفراد ما حدث للمحلق الكلابي؛ فقد كان الرجل ذا بنات لم يتزوجن لفقر أبيهن، فأشارت إليه زوجته في لفتة بارعة منها إلى دعوة الأعشى إلى الطعام والشراب، فاستجاب لرغبتها، وعندما طعم الأعشى وشرب، قال فيه قصيدته التي مطلعها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق × وما بي سقم وما بي معشق

فلم يصبح حتى تزوج بناته الثمانيَ.

كان ذلك من تأثير نصوص الأدب على نفوس الأفراد، أما تأثيره على نفوس الجماعات؛ فيحكى أنّ بني عبد المدان يمتازون بطول الأجساد وسعة الصدر، وكانوا يتفاخرون بذلك أيما افتخار، حتى هجاهم شاعرٌ بقوله:

لا خير في القوم من طول ومن قصرٍ × جسم البغال وأحلام العصَافير

فصارت تلك الصفات منذ ذلك اليوم سُبّة عليهم، كما أن هنالك قوماً من الأعراب كان ايسمون ببني أنف الناقة، وكانوا يستحون من هذا اللقب، ولكن عندما مدحهم الحطيئة الشعراء بقوله:

قومٌ هم الأنف والأذناب غيرهم × ومن ذا يساوي بأنف الناقة الذنبا

بعد هذا البيت كان إذا سئل أحدهم من أي القبائل أنت؟ شمخ بأنفه وقال: (من بني أنف الناقة).

ومن تأثير الأدب على سيكولوجية الجماعات أيضاً ما حدث لجماعة من بني نمير عندما مرت بهم امرأةٌ وأخذوا ينظرون إليها بشدة؛ فقالت لهم: (قبح الله وجوهكم لا قول الله أطعتم – قاصدة قوله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)، ولا قول الشَاعر سمعتم – تقصد قَول جرير:

فغض الطرف إنّك من نميرٍ × فلا كعباً بلغتِ ولا كلابا

وحقاً إنّ من البيان لسحراً؛ يهز ويحرك المشاعر، ويلصق بالنفوس.

الأصـــل في الـــزواج التعـــدد

صـــارت الضـــرة أكـــبر مصيبـــة للمـــرأة في المجتمـــع الســـوداني

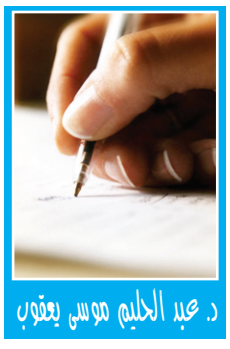

د. عبد الحليم موسى يعقوب

يظل التعدد أصلاً في الزواج ، بيد أن العرف والثقافة يتقاطعان طردياً مع المنهج الإسلامي إزا التعدد، وحينما نستقرئ التاريخ الإنساني الإسلامي نرى أن المسلمين تخللت حياتهم حروب وأحزاب عديدة أفضت إلى موت واستشهاد العديد من الصحابة والتابعين ومن جاء من بعدهم، فتركوا نساءهم خلفهم بعد موتهم، وكان المخرج الإنساني لهؤلاء النسوة في زواجهن مرة أخرى لإعانتهن في مجابهة الحياة، تربية لأولادهن، وإكمالاً لمشوار الحياة الذي يتطلب الزوج الرحيم.

لم تجد نساء ذاك الزمن معاناة في تفهّم التعدد، حتى أمسى التعدد ثقافة اجتماعية مقبولة لدى أفراد المجتمع، ولم يتصادم يوماً مع الواقع الاجتماعي.

ولكن حينما تبدلت الأحوال، ومرت عجلة التاريخ، تداخلت ثقافة الآخرين في ثقافتنا وقيمنا المعيارية، بدأ الناس يتوجسون من مفهوم التعدد، وصار وجهاً آخر للموت فالمرأة تفضل وفاة زوجها من انتهاجه منهاج التعدد، وصارت (الضرة) أكبر عدو للزوجة الأولى بل من ألد الأعداء، والثقافة السودانية حبلى بالحكايات التي تنفر من التعدد، فتم تصوير الزوجة الثانية بصفات مستمدة من الثقافة الغربية ذات الأصول غير الإسلامية التي تحرّم التعدد، وإن كانت تقر مبدأ الخليلات، فلا يحل قانوناً للرجل أن يعدد، ولكن مسموح له بمصاحبة مثنى وثلاث ورباع من النساء خارج منظومة الشرعية الزوجية.

وحينما تنبأ النبي (صلى الله عليه وسلم) بكثرة أعداد النساء في زماننا هذا، أوجد الدواء لهذه المعضلة الاجتماعية فكان التعدد ، وقد أجريت دراسة إحصائية بقبول الطلاب بجامعة الجزيرة من أول دفعة إلى عام ٢٠٠٨م فوجد أن أعداد الطالبات في الدفعات الأولى كان أقل من خمس طالبات في الدفعة الواحدة ثم تزايدت الأعداد حتى انقلبت المعادلة، فصار عدد الطلاب في الخمس سنوات الأخيرة خمسة طلاب في الدفعة الواحدة، علماً بأن الجامعة كانت تقبل في ثورة التعليم العالي خمسين طالباً وطالبة في الدفعة الواحدة ، أي تظل الطالبات في كل دفعة أقل من (١٠٪). حينما ننظر لكل هذا ندرك أن الثقافة السودانية قد امتزجت بالثقافة الغربية ، حتى تغنت المغنيات في بادئ الأمر برفض التعدد غير أن الواقع الاجتماعي فرض منهج التعامل مع الواقع فتبدلت أغاني البنات رغبة في التعدد وإن جاءت كلماتها على مستوى الإسقاط والانحطاط اللغوي. وهنالك العديد من التجارب الناجحة والفاشلة لهذا التعدد، ولكن يظل الأصل أن التعدد أصل في الدين، وإن جاءت التطبيقات فاشلة فلا يعني هذا البحث عن بدائل للنجاح، ولا نعزي الأخطاء لأصل التعدد، إنما لأفراد المجتمع، ويظل التعدد مفهوماً يحتاج إلى تجديد واقعيّ من أفراد المجتمع لينهضوا بالتعدد، وينفضوا الغبار عنه، ليحل أزمة إنسانية ساكنة في العديد من أسرنا المسلمة، وإن أغضبت بعض النساء.

انتبهوا

د. محمد موسى البر

العلمانية والدين

هذه الأيام تكثر وسائل الإعلام من الحديث عن العلمانية وعلاقة الدين بالعلمانية، والحديث عن العلمانية؛ حتى أصبح بعض المناقشين والمحاورين يقولون كلاماً غير علمي، وأصبح المجتمع حائراً؛ لأن الكثيرين لا يعرفون العلمانية من حيث المعنى، ولا يعرفون العلمانية من حيث النشأة وفي هذا العمود سوف نلقي الضوء على العلمانية وعلاقتها بالدين، ونجيب عن هذه الأسئلة ما هي العلمانية؟ وهل المجتمع الشرقي الإسلامي في حاجة للعلمانية؟ وسؤال لا بد من الإجابة عنه هل المجتمع السوداني في حاجة للعلمانية؟

يقول الكتاب من العرب والمسلمين إنّ العلمانية هي (فصل الدين عن الدولة) ولكن في الحقيقة تعني العلمانية (فصل الدين عن الحياة)، أو إقامة الحياة على غير الدين على مستوى الأمة، أو على مستوى الأفراد، والعلمانية نوعان: علمانية معتدلة تلك التي في المجتمعات اللادينية ولكن غير معادية للدين وهناك العلمانية المتطرفة وهي معادية للدين في كل وجوهها ، ولا سيما الإسلام، وواضح أن علاقة العلمانية ضد الدين وحينما نقول (العلمانية) يدل معناها على النزعة الدنيوية. والعلمانية لم تنشأ بوصفها قضيةً أو مسألة داخل التطور الطبيعي للفكر الإسلامي، أو المجتمعات الإسلامية فهي فكر وافد على العالم الإسلامي وقد كان أول من طرحها الساسة العملاء للغرب، وطرحت في أروقة الجامعات والمدارس السائرة في ركاب المذاهب الغربية، وقد سعى الاستعمار إلى تكريس العلمانية في العالم الإسلامي.

لقد كان للعداء بين المواطن الغربي والدين المتمثل في الكنيسة هو السبب في ظهور الفكر العلماني والعلمانية خاصة الأخطاء التي ارتكبها علماء الدين المسيحي وليس الدين نفسه ويمكن حصرها في:

الحجر على العقول وتكبيل كل إبداع فكري وكل كشف علمي.

الحجر على القلوب المتمثل في صكوك الغفران وقرارات الحرمان ومحاكم التفتيش والسجون.

تحالف الكنيسة مع الظالمين للشعب.

تحريف المسيحية.

اضطهاد الأقليات الطائفية.

لهذه الأسباب كان لا بد من إبعاد الدين عن الحياة أي، لا بد من إبعاد الدين المسيحي وقيام الدولة القومية وهذا يعني السماح لكل الأديان أن تعيش في وطن واحد وبالتالي يدخل اليهود المجتمع من أوسع أبوابه. طريق نشوء العلمانية لا علاقة له بالعالم الإسلامي فلماذا ينادي الناس بالعلمانية التي لا تناسب العالم الإسلامي ولأن الأصل في الإسلام لا إكراه في الدين، والسودان واحد من الأقطار الإسلامية التي لا تناسبها العلمانية إذ لا توجد ظروف كذلك لاستيراد فكر يقف كل التراث العقدي والأخلاقي في السودان ضده، فإذا حلت العلمانية مشاكل أوربا في العصور الوسطى، وحتى الآن فهي في السودان والعالم الإسلامي مشكلة في حد ذاتها، ولذلك ندعو الشعب السوداني والشباب على وجه الخصوص أن ينتبهوا لما يحاك ضدهم وضد المبادئ، وكذلك أن ينبهوا الآخرين إلى أن الدولة في الإسلام والحكم الإسلامي بصفة عامة ليس حكماً دينياً كالذي قام في أوربا في القرون الوسطى وقد قامت بالتمرد على الدين والثورة الفرنسية التي رفعت شعارات كانت مفقودة في الغرب مثل (الحرية والعدل والمساواة) وكانت راسخة يومها في العالم الشرقي بسبب الدين الإسلامي، وكانت الجماهير تصب جام غضبها على أوربا والكنيسة وتصرخ خلف ميرانو (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).